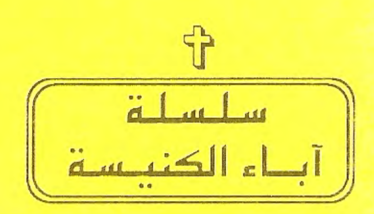
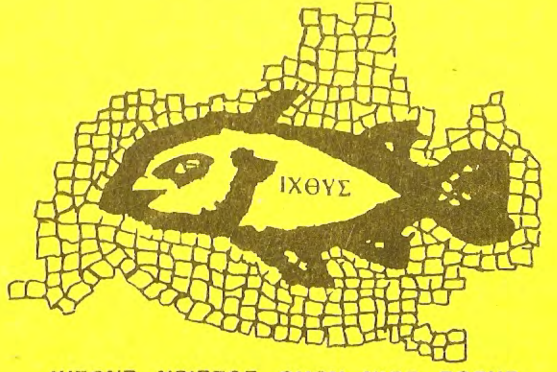
اليوبيل الماسى للكلية الاكليريكية



العلامة يوسابيوس

القيصرى



ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

أبو التاريخ الكنسى

✝

علم الباترولوچى

سلسلة آباء الكنيسة

العلامة يوسابيوس

EUSEBIUS OF CAESAREA

ترجمة وإعداد

أنطون فهمى چورچ



البابا شنودة الثالث

مقدمة

إهتم المنهج الآبائى بالتاريخ الكنسى بنفس القدر الذى إنشغل فيه بالأبدية وحياة الدهر الآتى ، وسر إهتمام الآباء بالتاريخ يكشف عن المفاهيم الروحية والإيمانية وشهادة الكنيسة للمسيح عريسها عبر كل الأجيال والحقب .

شهادتها أمام الوثنية ، وأمام البدع والهرطقات ، وأمام الإضطهاد ، إنه عمل الله الذى إقتناها له بالدم الكريم الذى لمسيحه .

ويعتبر العلامة يوسابيوس القيصرى أباً لعلم الباترولوچى ومؤسساً لفكرة نشر أقوال الآباء وكتاباتهم ، فقدم وثيقة تاريخية هامة صارت وبحق أهم مرجع لعلم الاباء ، وتاريخ يوسابيوس الكنسى يعد أول عمل تاريخى تأسست عليه مدرسة المؤرخين الكنسيين فى العالم كله ، فأصبح مصدراً حياً يرجع اليه المؤرخون ، ليقفوا على أعماق التاريخ ومفاهيمه .

وبالرغم من مكانة يوسابيوس المؤرخ الكنسى ، إلا أن له أخطائه ، فمع انه لم يكن أريوسياً بالمعنى اللاهوتى الكامل ، لكنه أعطى لنفسه حرية الحركة بالفكر والكلمة والتصرف وسط الأريوسيين ممالأة لهم وللإمبراطور قسطنطين ، ولم يخل فكره وعمله من الأريوسية .. وبحسب الإصطلاحات المتعارف عليها ، يعتبر العلامة يوسابيوس نصف أريوسى ، لذلك إعتبرته الكنيسة فيما بعد "ذا وجهين" (سقراط ١ : ٢٣) ، بالرغم من أنها لم تتنكر لكتاباته التاريخية بسبب الحقائق التاريخية الثمينة التى فيها ، لا بسبب المفهوم الذى تحمله ، معتمدة على وعى أبنائها وحسهم اللاهوتى الأرثوذكسى فى أمر إكتشافه وتجاوزه ، اذ ان علم الباترولوچى يعطى إهتماماً لكل الكتابات الأبائية حتى الكتابات المنحرفة ، لكى نتفهم الظروف التى أحاطت بالكنيسة الاولى .

واننى أضع هذه السلسلة الأبائية ΙΧΘΥΣ التى اعتمدت فيها على مجموعة "باترولوچى" *Patrology* لجونز كواستن *Johannes Quasten* ، بين يدى المسيح مخلصنا الصالح محب

البشر الذى احبنا وفدانا ، لتكون سبب بركة ونمو روحى لكل من يقرأها .

ذاكراً محبة وصلوات وتشجيع ابى ومعلمى نيافة الحبر الجليل الانبا بنيامين النائب البابوى ، وتعب الآباء الذين تعبوا ودخلنا نحن على تعبهم ، وبذل الاخوة الذين ساهموا فى صدور هذا العمل .. لتشملنا مراحم الرب الهنا من دور والى دور ، بصلوات جزيل البركة والغبطة بابانا الحبيب البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧ ،،

ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين ،،

الصوم الأربعينى الكبير
١٩٩٢م
١٧٠٨ ش



العلامة يوسابيوس القيصرى

EUSEBIUS OF CAESAREA

يبدأ العصر الذهبى للأدب الآبائى بكتابات باهرة لأبى التاريخ الكنسى يوسابيوس بامفيليوس *Eusebius Pamphili* اسقف قيصرية فلسطين ، وهو مؤرخ ومجادل فى نفس الوقت ، وشخصية هامة فى تاريخ الاريوسية فى أيامه ، وواحد من اخر المدافعين ، ويقدم لنا صورة عن التغيرات الجذرية التى حدثت فى أيامه فى تاريخ العالم بأمانة كاملة أكثر من أى مؤرخ آخر .

ولم تكن قيصرية فلسطين مكان تعليمه ونشاطه الأدبى وكرسيه الاسقفى فقط ، بل وأيضاً مدينة ميلاده سنة ٢٦٣م ، وقد صارت هذه المدينة مركزاً للعلم والمعرفة منذ أن رحل أوريجانوس اليها وأنشأ مدرسته الشهيرة هناك ، وقد شكلت مؤلفات أوريجانوس أساس المكتبة التى طورها بامفيليوس كاهن كنيسة قيصرية ، وقد تحمس بامفيليوس لاصدار نص معتمد من

الكتاب المقدس ولكن على أساس نص أوريجانوس المسمى «الهكسابلا - السداسى» وتفاسيره على العهدين القديم والجديد .

ولاتمام هذه المهمة احتاج الى معاونين ومساعدين ، فتقدم يوسابيوس ليكون عضواً عاملاً فى هذه الجماعة الدراسية ، وبدأ يساعد بامفيليوس الذى شجعه وعلمه كيف يعتمد على نفسه وعلى ذهنه وزوده بنصائحه ، ودان يوسابيوس لمعلمه بامفيليوس بالفضل الكثير فى تعليمه وتدريبه الفكرى ، وتعبيراً عن شكره ومحبته لاستاذه قرن اسمه باسمه فدعى نفسه "يوسابيوس بامفيليوس" أى أنه الابن الروحى لبامفيليوس .

وهكذا دخل يوسابيوس فى تاريخ آباء الكنيسة باسم "يوسابيوس بامفيليوس" وما زال يوجد مخطوط قديم من نسخة الكتاب المقدس التى أعدها بامفيليوس ويوسابيوس معاً .

واستلم يوسابيوس عن معلمه تكريم أوريجانوس تكريماً

عميقاً ، وانشغل بتراثه الأدبى حتى يزيد من شهرة هذا العلامة السكندرى ، وبدأ فى إصدار مجموعة مراسلاته ، الأمر الذى ساعد على عدم ضياع هذا التراث أو تشتته .

وفى الاضطهاد الأخير نال بامفيليوس اكليل الشهادة ، فى العام السابع من اضطهاد دقلديانوس فى السادس من فبراير سنة ٣١٠م ، وكتب يوسابيوس سيرته تكريماً لذكراه واعترافاً بمحبته له ، ويوسابيوس نفسه هرب الى صور ومنها الى برية مصر فى فى *Thebais* ، ولكن قُبض عليه هناك وسُجن .

ويبدو أن العام الذى انتهت فيه الاضطهادات ضد الكنيسة {سنة٣١٣م} هو نفس عام تجليس يوسابيوس أسقفاً لقيصرية ، وقد صارت له صداقة متينة مع قسطنطين الملك وكان ذا تأثير عليه ، وبدأت شهرته كعالم تطغى على شهرة معلمه منذ ذلك التاريخ .

وقد دخل يوسابيوس ـ كأسقف ـ فى الجدال الآريوسى ، الذى اعتقد أنه يستطيع أن ينهيه باقتراحات بتنازلات متبادلة من كلا

الطرفين ، بدون أن يدرك الأهمية الحقيقية للعقيدة موضع النقاش ، وكتب عدة رسائل يؤيد فيها آريوس ، وكان له دوره المؤثر جداً فى مجمع قيصرية المكانى الذى اعلن ارثوذكسية فكر وعقيدة آريوس رغم أنه طلب منه الخضوع لأسقفه ، وبعد ذلك بقليل عُقد مجمع مكانى فى انطاكية سنة ٣٢٥ حرم أسقف قيصرية لرفضه للصيغة الايمانية المعارضة للتعليم الآريوسى المنحرف ، وفى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م أراد أن يكون واسطة مصالحة ، ورفض عقيدة «الهوموأوسيوس *Homoousios* ـ مساواة الاب والابن فى الجوهر» التى لأثناسيوس لأنه ظن أنها تؤدى الى السابليانية *Sabellianism* ، وأخيرا وقع على قانون الايمان النيقاوى كمجرد ارضاء خارجى لرغبة الامبراطور ، لكن بدون أى اقتناع حقيقى داخلى ، ولم يستخدم قط فى كتاباته بعد سنة ٣٢٥ التعبير "هومواوسيوس" ، بل أيد صراحة يوسابيوس أسقف نيقوميدية وقام بدور بارز فى مجمع انطاكية المكانى سنة ٣٣٠م ، الذى خلع الاسقف يوستاثيوس *Eustathius* ، وكان له ايضا دور هام فى مجمع صور سنة ٣٣٥ الذى حرم القديس أثناسيوس الرسولى ، وبجانب ذلك كتب كتابين

ضد مارسيللوس أسقف أنقرة الذى خُلع من كرسيه بعد ذلك بعام .

وكان إعجاب ومحبة يوسابيوس للامبراطور ، الذى أرسى السلام بين الكنيسة والامبراطورية بعد سنوات من الاضطهادات الدموية ، كبيراً جداً ، وتمتع يوسابيوس نفسه بمكانة خاصة لدى قسطنطين ، وفى التذكارين العشرين والثلاثين لتتويج الامبراطور وتقليده الحكم ، ألقى يوسابيوس كلمتى مديح للامبراطور ، وعندما تنيح قسطنطين فى ٢٢ مايو سنة ٣٣٧ ، قدم يوسابيوس كلمة تأبين طويلة له ، إذ يبدو أنه كان مستشاره اللاهوتى الأكبر ، وقد مات يوسابيوس بعد امبراطوره بأعوام قلائل فى سنة ٣٣٩ أو سنة ٣٤٠م .

☨ ☨ ☨



الملامح اللاهوتية والروحية فى فكر العلامة يوسابيوس

تكلم العلامة يوسابيوس عن التقدم الى ما هو قدام فى الحياة الروحية ، فرسم منهاج للسير بلا عيب فى الطريق الروحى وعدم الرجوع الى الوراء وعدم الميل لا يمين ولا يسار ولا نظر للوراء من أجل بلوغ الهدف ، ويقول : طالما أن القلب لا يزال بعد غير كامل فهذا هم كبير وتعب كثير بل إنه قد يتردى الى أسوأ مما هو عليه ، أما حينما يصل الى قمة الكمال فحينئذ يكون قد تأسس فى الفضيلة وتحرر من كل خوف ، يطلب من الله أن يوضح له ولا يخفى عنه وصاياه حتى يكملها الى المنتهى متفهماً لها حتى يعبر هذا العالم وهو بلا لوم .

ويتحدث يوسابيوس عن الحرب الروحية والقوات المضادة التى تحارب النفس فى تفسيره للمزمور ١١٨ ، فيقول : الله يصد عنا المضادات ويتولى قضاء الاعداء غير المنظورة بنفسه من أجل

محبته للبشر ، إذ قد تبنى قضيتهم لأنها قضيته .

وفى تأكيد على الارادة المتجهة نحو الله يحث العلامة يوسابيوس على المواظبة على الاجتهاد والمثابرة ، لان النفس التى تخطئ تذبل منجذبة فى غفلة الخطية ، ولن تقوم ولن تستيقظ إلا بتذكر الخير وإدانتها لنفسها واعترافها بخطاياها السابقة وتعلم الوصايا والثبات فيها ..

وهو بذلك يرسم معالم الطريق الروحى والحياة الداخلية بالشركة مع الله ، ثم يذكر ملمح هام عن المكافأة والجعالة التى يحظى بها المجاهدون ، عندما يتكلم عن نهاية العالم الزائلة وهيئته ليتبعه عالم جديد ، وعوض الكواكب المنظورة يضئ المسيح نفسه لأنه شمس الخليقة الجديدة وملكها ، عظيمة هى قوة هذه الشمس الجديدة ، وعظيم هو بهاؤها ، حتى أن الشمس التى تضئ الان والقمر والكواكب الأخرى تظلم أمام هذا النور الأبدى العظيم .

أما عن الملامح اللاهوتية فى فكره ، فيؤكد يوسابيوس على

حياة الطهارة من أجل التأمل فى الأمور العلوية (الالهيات) فعدم الطهارة هو عدم التقوى وظلمة الجهل ، أما نقاوة الفكر من الناحية الأخرى ، فهى التقوى والتقوى تلازمها معاينة الله .

ويرى يوسابيوس أن تجسد الله اللوغوس هو استعلان السر الذى تدور حوله نبوات العهد القديم : «اللوغوس المتجسد هو وحده الذى اعطانا نعمة معرفة الثالوث بميلاده السرى لأنه لا موسى ولا أى من الانبياء وُهب خدمة هذه النعمة لشعب الله فى العهد القديم ، لأنه فى ابن الله اللوغوس فقط أُعلنت نعمة الآب للكل ، لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» .

ويقارن يوسابيوس بين مسحاء العهد القديم من كهنة وملوك وأنبياء وبين السيد المسيح نفسه موضحاً أن ما ناله رجال العهد القديم كان رمزاً ، فكانوا عاجزين عن أن يقيموا من أتباعهم مسحاء ، أما السيد المسيح فهو وحده الذى دعى اتباعه مسيحين لأنهم صاروا فيه مسحاء .

والكنيسة عند أسقف قيصرية هى وحدها «تملك الطريق الملوكى» ، ومن ثم تعطى «معرفة النعمة الالهية» ، لأن الكنيسة تملك اللاهوت الكامل ، لأن فيها حُفظ سر الخلاص ، سر تدبير الله ، لأنها تجمعت من الأمم ، ووهب لها هذا السر بفضل نعمة فائقة مختارة ، لأن فيها ـ كما يقول الرسول ـ كل كنوز الحكمة والمعرفة ، ويقول يوسابيوس :

«استعلن سر الخلاص لكنيسة المسيح فقط بنعمته»

ومن المسيح الطريق والحق تتسلم الكنيسة معرفتها لسر الثالوث القدوس السرى المبارك ، وتحفظه كرجائها الذى لا يخزى .

وللنور فى لاهوت وفكر يوسابيوس مكانة خاصة ، والنور الذى أشار اليه القديس يوحنا اللاهوتى فى بداية انجيله أو النور الذى يضئ فى الظلمة ، هو نور اللوغوس الذى بقدرته خلق النفوس العاقلة الناطقة ، وهو الذى ينير كل انسان آتياً الى العالم ، وهو النور الذى لا يُدنى منه والذى لم يره أحد قط .

وشرح أبو التاريخ الكنسى أن حق الثالوث قد أُستعلن بتجسد اللوغوس ، ومنذ ذلك الحين ظل فى الكنيسة يقودها ويمنحها المواهب المتعددة ، مواهب الروح والحكمة والمعرفة والايمان والمحبة .

كتابات يوسابيوس

فيما عدا العلامة أوريجانوس السكندرى ، فاق يوسابيوس كل الاباء اليونانيين فى المعرفة والعلم ، وقد كان باحثاً ومجاهداً لا يكل ، واستمر يكتب حتى سن متقدم جداً ، وتقدم كتاباته مجموعة ضخمة من المقتطفات التى جمعها من الكتابات الوثنية والمسيحية والتى فُقد الكثير منها ، ولهذا السبب لم يندثر انتاجه الأدبى بالرغم من اتجاهه الآريوسى ، وتكشف لنا كتاباته عن سعة أفق مدهشة فى التعلم ، ومنها يتضح لنا أنه دارس جيد للكتاب المقدس وللتاريخ الوثنى والمسيحى ، وللأدب القديم ، والفلسفة ، والجغرافيا ، وعلم التفسير ، وعلوم اللغة ، ويصفه فوتيوس بأنه «رجل غزير المعرفة» [1] ، وبالرغم من أنه مدافع خصب ، إلا أنه لا ينتمى الى اللاهوتيين البارزين فى التراث المسيحى ، فشهرته الواسعة إنما ترجع الى أعماله التاريخية العظيمة .

١ - الأعمال التاريخية

١ - التاريخ *The Chronicle*

من بين أعماله الأولى ، عمله الذى يُسمى دوماً «التاريخ» ، وقد كُتب حوالى ٣٠٣م ويتكون من قسمين :

القسم الأول

وهو فى الواقع مقدمة يسرد فيها أهم الأحداث التاريخية فى كل أمة :

تاريخ الكلدانيين اعتمادا على مقتطفات واستشهادات من الكسندر بوليهستور *Alexander Polyhistor* ويوسيفوس *Josephus* وأبيدينوس *Abydenos* .

تاريخ الآشوريين اعتماداً على كاستور *Castor* وأبيدينوس وديودورس *Diodorus* وسيفاليون *Cephalion* .

تاريخ العبرانيين اعتماداً على العهد القديم ويوسيفوس وكلمنضس السكندرى .

تاريخ المصريين اعتماداً على ديودورس ومانثو *Mantho* وبورفيرى *Porphyry* .

تاريخ اليونايين اعتماداً على كاستور وبورفيرى وديودورس .

تاريخ الرومان اعتماداً على ديودورس وكاستور وديونيسيوس *Dionysius of Halicarnassus* .

القسم الثانى:

عبارة عن جداول تاريخية Χρονικοὶ ، Κάνονεσ [1] مرتبة وفقاً لتوافق الاحداث وتزامنها معاً *Synchronisation* ومعها ملاحظات عن اهم أحداث تاريخ العالم بصفة عامة والتاريخ المقدس بصفة خاصة ، واتخذ يوسابيوس من تاريخ ميلاد ابراهيم أبو الآباء {سنة ٢٠١٦-٢٠١٥ ق.م} نقطة بدايته ، ثم قسم التاريخ الى خمس حقب :

١) من ابراهيم الى اخذ *Troy* .

٢) من اخذ *Troy* الى الاوليمبياد *Olympiad* الأول .

٣) من الاوليمبياد الأول الى العام الثانى من حكم داريوس .

٤) من العام الثانى لحكم داريوس الى موت المسيح .
٥) من موت المسيح حتى عام ٣٠٣م .

أى أنه يتتبع تواريخ الكتاب المقدس الى صلب المسيح حتى سنة ٣٠٣م ، بالمقارنة مع تواريخ العالم السياسية .

وكان هدف يوسابيوس من عمله هذا أن يثبت أن الديانة اليهودية ، والتى تعتبر المسيحية الامتداد الشرعى لها ، هى أقدم من أية ديانة أخرى ، بيد أن هذه الفكرة لم تكن جديدة ، ففى القرن الثانى ، حاول الكثير من المدافعين المسيحيين أن يظهروا قدم موسى وشريعته ، ثم فى أوائل القرن الثالث كتب يوليوس أفريقانوس *Julius Africanus*[٢] كتابه "التواريخ *Chronicles*" الذى قسمه ايضاً الى خمس حقب زمنية ، وكان عمله هذا أول تاريخ يُكتب بحسب توافق وتزامن الأحداث *Synchronistic history* ، ولاشك أن يوسابيوس ألف كتابه معتمداً على هذا النموذج بل وعلى كثير من المادة التاريخية فيه بالرغم من أنه لم يذكر ذلك ، ولكن عمل يوسابيوس يُعد أفضل بكثير من عمل يوليوس أفريقانوس ، ليس فقط لانه يستعين

بكُتاب أفضل واقدم تقريباً فى كل أجزاء عمله ، بل وايضاً بسبب رؤيته النقدية التى تميز بها .

وبتحديده تواريخ الاحداث الكتابية ، سعى العلامة القيصرى ليثبت أن نظام افريقانوس كان خاطئاً وغير علمى ، وقد رفض يوسابيوس ان يبدأ عمله منذ آدم والسقوط ، إذ أنه لا أحد يعرف مدى الفترة التى عاشها آدم فى الفردوس ، وأيضاً لا يستطيع أن يتتبع تواريخ الكتاب المقدس إلا منذ ابراهيم ، وهنا يمكننا أن نرى مدى براعة يوسابيوس فى نقد النص .

المصادر التى اعتمد عليها يوسابيوس

١- المكتبة العامة بروما

يتكلم يوسابيوس عن المكتبة العامة فى روما حيث يمكن لأى رائد للمكتبة أن يجد كتاب فيلو عن الفضائل [٣] وكتابات يوسابيوس المؤرخ اليهودى .[٤]

٢ - مكتبة كنيسة أورشليم

وقد اسس هذه المكتبة الكسندر أسقف أورشليم (٢١٢ - ٢٥٠) تلميذ بنتينوس وكلمنضس السكندرى ، وصديق أوريجين .

وقد استخدم يوسابيوس هذه المكتبة بنفسه واثبت بعض الكتابات المسيحية التى وجدها فيها وهى : كتاب بيريللوس أسقف بوسطرة ببلاد العرب ، وهيبوليتس وغايس أسقف روما .[٥]

٣ - مكتبة قيصرية

وهى مدينته الى وُلد فيها وأقيم أسقفاً عليها [٦] ، وكان يقوم بتشغيل كتبة لينسخوا مستخرجات من هذه المكتبة التى اسسها أوريجين وبامفيليوس ، وكانت تحوى مجموعة كبيرة من كتابات العصور المسيحية المبكرة بقدر الامكان .

وقد جمع يوسابيوس أكثر من مئة رسالة لاوريجانوس [٧] ، وقام بتجميع مجموعة من الكتابات الخاصة بقصص استشهاد

الشهداء الاول [٨] بالاضافة الى مجموعات ومجلدات أخرى ، وكانت معرفته بفيلو مستمدة فى الغالب من هذه المكتبة .

وقد فقد النص اليونانى الأصلى لهذا العمل "التاريخ" عدا بعض الشذرات والمقتطفات ، لكنه حُفظ كله فى ترجمة أرمنية من القرن السادس ، وهناك ترجمة لاتينية للقسم الثانى قام بها چيروم سنة ٣٨٠ فى القسطنطينية ، وقد أضاف چيروم لهذا العمل عدداً كبيراً من الفصول عن التاريخ الرومانى خاصة ، وأضاف ايضاً تأريخ للفترة ما بين كتابة العمل وحتى ايامه هو ، أى ما بين عام ٣٢٥ وعام ٣٧٨م أى تاريخ وفاة ڤالنس *Valens* وفى هذا الشكل الذى قدمه چيروم ، وصل كتاب "التاريخ" الغرب وكان له تأثيره على مؤرخى القرون الوسطى ، فهو أحد المصادر الاساسية التى يعتمد عليها أى باحث فى تاريخ البشرية .

٢ - التاريخ الكنسى *The Ecclesiastical History* [+]

ان العمل الذى أعطى ليوسابيوس شهرته الخالدة هو "التاريخ الكنسى" Ἐκκλησιαστικὴ Ἱστορία والذى يتكون من

(+) ترجمه الى العربية العلامة المتنيح القمص مرقس داود .

عشرة كتب تغطى الفترة من تأسيس الكنيسة وحتى هزيمة ليسينيوس سنة ٣٢٤ وإنفراد قسطنطين بالحكم ، ولم يقصد يوسابيوس بهذا الكتاب أن يسجل تاريخ الكنيسة منذ تأسيسها وحتى يومه ، ولا يسعى ليقدم وصفاً كاملاً لانتشار المسيحية ونموها ، بل يقدم مجموعة غنية جداً من الحقائق والوثائق التاريخية ، ومن مقتطفات من عدد كبير من الكتابات التى تعود الى السنوات الاولى للمسيحية ، فعمل يوسابيوس هو تاريخ الكتابات المسيحية المبكرة أكثر من كونه تاريخياً للاعمال والافكار المسيحية الاولى ، ونجد فيه مراجع لكتابات حوالى ٣٥ مؤلفاً مسيحياً بالاضافة الى قوائم بكتابات فيلو (٢ : ٨) ويوسيفوس (٣ : ٩) .

وقد استخدم يوسابيوس ما اعتبره معتمداً من وثائق الكنيسة الاولى مثل بعض كتابات الآباء الرسوليين : رسالة كلمنضس الاولى ، سبع رسائل للقديس اغناطيوس ، رسالة للقديس بوليكاربوس ، الراعى لهرماس ، تفسير المقولات الالهية لبابياس ، ولكنه لم يكن على دراية بكتاب الديداخية أو برسالة

برنابا ، كما كان على علم برسالة بيلاطس (٢:٢) ورسائل بلينى وتراجان ، والكتاب الثالث فقط من دفاع ترتليان .

كذلك اعتمد يوسابيوس على مجلد كامل كان فى مكتبة قيصرية يحوى سير الشهداء : بوليكاربوس ، بيونيوس ، كاربوس ، بابيليوس ، واغاثونيس ، وقد اضاف يوسابيوس لهذا المجلد سيرة شهداء الغال .

كما استعان ابو التاريخ الكنسى بمجموعات كبيرة كانت موجودة فعلاً فى عصره ، وكانت هذه المجموعات تضم كتابات يوستينوس المدافع الشهيد (٤ : ١٨) وديونيسيوس الكورنثى (٤ : ٢٣) وثيؤفيلس الانطاكى (٤ : ٢٤) وميليتو اسقف ساردس (٤ : ٢٦) وابوليناريوس من هيرابوليس (٤ : ٢٧) وتاتيان المدافع (٤ : ٢٩) وبارديسان (٤ : ٣٠) ويسجل يوسابيوس اعمال كل هؤلاء ويؤكد على كتابات يوستينوس بالذات لكى «يحث العلماء على الانتباه الجاد لهذه الكتابات» (٤ : ٨ ، ١٠) .

بالاضافة الى ذلك ، كان هناك منذ نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث ، دوسيهات تحوى الكتابات الجدلية ضد المونتانيين (٥:١٦-١٩) واعمال ايريناؤس ابو التقليد الكنسى (٥:٢٠-٢٦) والجدال حول ميعاد تعييد الفصح (٥:٢٣) وبعض وثائق متفرقة (٥ : ٢٧ - ٢٨) واعمال سرابيون الانطاكى (٦:١٢) .

وقد شرح يوسابيوس فى المقدمة المنهج الذى اتبعه فى تقديم مادته :

١) قوائم بالتسلسل الرسولى للاساقفة .
٢) الاحداث الهامة وقادة الكنيسة فى ذلك الوقت .
٣) المعلمون والكتاب المسيحيون المشهورون .
٤) الهراطقة .
٥) الكوارث التى حلت بالامة اليهودية بعد صلب المسيح .
٦) الاضطهادات التى شنها الوثنيون ضد كلمة الله وضد الشهداء الاماجد .
٧) سير هؤلاء الشهداء وعلى الاخص الذين فى عصره .

وهكذا يتضح لنا الهدف الدفاعى للعمل كله : أن يقدم الدليل على أن الله هو الذى اسس وارشد وقاد الكنيسة الى هذا الانتصار النهائى الاخير على قوة الدولة الوثنية .

وعندما يصل يوسابيوس فى تأريخه الى معلمى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، نجده يقدم معلومات وافية عنهم ، ولا عجب فقد أتى بنفسه الى مصر ومكث فيها فترة ، كما كان مؤتمناً على مكتبة أوريجانوس فى قيصرية ، وهو يعدد أعمال كليمنضس السكندرى (٦ : ١٣) وأوريجانوس (٦ : ٢٤-٢٥ ، ٣٢ ، ٣٦) ولديه معرفة بكُتابات ديونيسيوس السكندرى إذ يقتبس بعضاً من كتاباته فى الكتابين السادس والسابع .

وبعد كنيسة الاسكندرية ، يعدد ثلاث رسائل للأسقف الكسندروس الاورشليمى (٦ : ١١ ، ١٤) وبعض أعمال هيبوليتس (٦ : ٢٢) ويوليوس افريقانوس (٦ : ٣١) .

ولأن حياة يوسابيوس نفسها كانت مليئة بالأحداث التاريخية

ولأن حياة يوسابيوس نفسها كانت مليئة بالأحداث التاريخية الجليلة الاهمية ، لذا اضطر ان يدخل الكثير من الاضافات على عمله الأصلى عدة مرات ، كى يظل عمله العظيم هذا شاملاً حتى ايامه هو ، وهكذا ظهر كتاب "التاريخ الكنسى" فى أربع طبعات بحسب ما اثبت علماء الآباء .

وقد حقق كتاب "التاريخ الكنسى" نجاحاً عالمياً وأعيد طبعه مرات عديدة حتى ان النص الحالى يعتمد على سبع مخطوطات يونانية يعود تاريخها الى الفترة ما بين القرن التاسع والقرن الحادى عشر :

ـ ثلاثة منها فى مكتبة البلدية فى باريس *Bibliotheque Nationale* . (٩)

ـ إثنتان فى مكتبة *Laurentian* فى فلورينس . (١٠)

ـ واحدة فى مكتبة القديس مرقس فى ڤينيسيا . (١١)

ـ واحدة فى موسكو . (١٢)

بالاضافة الى ذلك ، وصلتنا ثلاثة ترجمات ، أقدمهم وهى الترجمة السريانية يرجع تاريخها الى القرن الرابع ، وكانت اساس

روفينوس اللاتينية التى قام بها سنة ٤٠٣ م والتى إنتشر من خلالها كتاب التاريخ الكنسى فى الغرب كله .

٣ - شهداء فلسطين *Martyrs of Palestine* (+)

لابد ان يوسابيوس اصدر مجموعة من اعمال الشهداء القديمة قبل ان يكتب تاريخه الكنسى ، لأنه فى الكتاب الرابع والخامس منه يشير عدة مرات الى هذه المجموعة ، بيد أن هذا العمل الثمين قد فُقد ، وفى حديثه عن شهداء فلسطين فى تاريخه الكنسى (١٣) يقول يوسابيوس :

«ليس عملنا هنا أن نكتب عن جهادات هؤلاء الذين جاهدوا فى العالم كله من أجل محبة الله وتقواه ، ولا ان نسجل بالتفصيل كل اعمالهم ، لان هذا العمل خاص بالذين شهدوا الاحداث بأنفسهم ، الا انى سوف اقدم ـ فى عمل آخر ـ هؤلاء الذين تحدثت معهم انا شخصياً» .

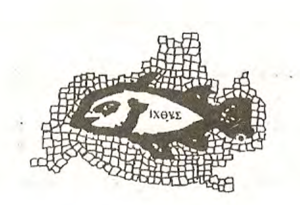
+ ترجمه الى العربية العلامة المتنيح القمص مرقس داود .

وقد اوفى يوسابيوس بوعده هذا وقدم فى كتابه "شهداء فلسطين *Martyrs of Palestine*" وصفاً لمن رآهم بنفسه من هؤلاء الشهداء ، وقد وصلنا فى نسختين ، النسخة الاقصر فقط هى الموجودة باليونانية ، محفوظة فى اربع مخطوطات من "التاريخ الكنسى" (١٤) كملحق بالكتاب الثامن ، وقد كتبها يوسابيوس فى الغالب قبل الاصدار الاول من "التاريخ الكنسى" ، والنص الكامل للنسخة الاطول موجود فقط فى نسخة سريانية قديمة ، اذ لم يتبق من اصله اليونانى الا بضعة شذرات .

واتبع اسقف قيصرية ترتيباً تاريخياً يغطى الفترة الكاملة للاضطهاد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣١١ ، وعلى اساس هذا العمل ، نستطيع ان نتعرف على الاضطهادات التى وقعت فى فلسطين وعلى شهدائها ، معرفة افضل من معرفتنا عن اى منطقة اخرى فى الشرق فى هذا المنحى ، وبهذا العمل نستطيع ان نفصل بين ضحايا دقلديانوس وضحايا جاليريوس ومكسيميان ، وهذا امر مستحيل فى المناطق الاخرى ، ويروى يوسابيوس انه فى اثناء حكم دقلديانوس ، نالت مجموعة من ١٢ مسيحى

اكاليل الاستشهاد فى قيصرية ، وعندما خلف مكسيميان دقلديانوس فى الحكم ، ازدادت نيران الاضطهاد التهاباً ، اذ انه اصدر امراً عاماً بأن كل المواطنين يجب ان يذبحوا للآلهة الوثنية ويأكلوا من هذه الذبائح ، وذكر يوسابيوس ان عدد الذين استشهدوا فى هذه البقعة الصغيرة من الامبراطورية اثناء الاضطهاد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣١١ هو ٨٣ شهيداً وشهيدة ، وأشهرهم هو الكاهن بامفيليوس استاذه وصديقه ، اما عدد المعترفين فكان ضخماً جداً لا يُحصى . (١٥)

✞ ✞ ✞



٢ - أعماله فى مدح قسطنطين

ان يوسابيوس فى كتاباته عن الامبراطور قسطنطين الكبير هو مادح اكثر منه مؤرخ ، ووضع نفسه وقلمه فى خدمة الامبراطور اثناء حياته وحتى بعد نياحته ، إذ انه كان يرى أن حكم قسطنطين هو تحقيق لأعظم رجاء مسيحى ، والامبراطور بالنسبة له هو الرسول المختار المُرسل من قبل الله كى ينقذ الكنيسة من الاضطهاد .

١) **حياة قسطنطين** *Vita Constantini* (+)

يقع هذا العمل فى أربعة كتب ، وقد أُنتُقد يوسابيوس بسبب تماديه فى مدح قسطنطين بإطناب ، اذ انه وصف حكم الامبراطور بأنه صورة لحكم الله او ما يسمى بالحكم الثيؤقراطى ، حيث يصير الامبراطور هو حلقة الوصل بين الله والعالم .

والعنوان اليونانى الاصلى للعمل هو

+ ترجمه الى العربية العلامة المتنيح القمص مرقس داود .

Εἰσ Τόν Βίον Τοῦ Μακαρίου Κωνσταντινον Βασιλέωσ

ويتضح منه انه لا يقصد ان يقدم سيرة كاملة للإمبراطور بل يقتصر على عرض اعمال الامبراطور التى لها صلة بالمسيحية ، لذا اقترح العالم *W. Telfer* (١) مؤخراً أن يترجم العنوان اليونانى الى "تأملات فى حياة قسطنطين *Reflections in the Life of Constantine*".

ويرسم يوسابيوس صورة حية لقسطنطين «الذى كان وحده من بين كل القادة الرومان ، صديقاً لله ـ حاكم الكل ـ وقدم للبشرية كلها مثلاً واضحاً للحياة الصالحة» . (٢)

فهو "كموسى الجديد" خلص الشعب الجديد المختار من الطغاة ومن عبودية قيود الاعداء (٣) ، ويشبهه يوسابيوس بالشمس «كما ان الشمس لما تشرق على الارض تسطع اشعتها على الجميع بسخاء ، هكذا كان قسطنطين عندما يخرج من قصره الملكى باكراً جداً فى الفجر ، ويشرق بنور سماوى» . (٤)

ويقدم يوسابيوس وصفاً تفصيلياً [٥] لرؤية قسطنطين للصليب ، مؤكداً ان الامبراطور اكد له وأقسم بهذه الحقيقة ، وقد ضمّن يوسابيوس فى عمله هذا ستة عشر أمراً ورسالة امبراطورية تمثل ربع العمل كله وهى فى غاية الاهمية .

٢) الى جماعة القديسين *Ad Coetum Sanctorum*

يذكر يوسابيوس فى كتابه "حياة قسطنطين" [٦] ان الامبراطور كان يقضى وقته فى الكتابة والخطابة ، التى تعرض فيها لخطأ تعدد الالهة وأثبت ان المعتقدات الخرافية التى يؤمن بها الوثنيون هى خدع ، وأكد على سلطان الله وحده وعلى تدبير الخلاص وضرورته ، وعلى عقيدة الدينونة ، ويروى ابو التاريخ الكنسى ان الامبراطور كان يلقى خطبه باللغة اللاتينية ويقوم المترجمون بترجمتها فوراً الى اليونانية ، كما ذكر يوسابيوس انه سيقدم جزء من احدى احاديث قسطنطين وهو بعنوان "الى جماعة القديسين" موجه الى كنيسة الله . [٧]

والمخطوطات التى تحوى "حياة قسطنطين" تتضمن ملحق للكتاب الرابع وهو "كلمة الامبراطور قسطنطين التى وجهها الى

جماعة القديسين" وتسميها احدى المخطوطات بالكتاب الخامس من "حياة قسطنطين" وهى عبارة عن دفاع عن المسيحية :

المقدمة : (١-٢) تتضمن التحية وتشير الى يوم الألم الذى كان تمهيداً ليوم القيامة .

الجزء الأول : (٣-١٠) يتحدث عن الله الآب ، الخالق والرب الوحيد للكون ، ويفند أخطاء الوثنية ومفاهيمها الخاطئة وإيمانها الخرافى بالقدر والحظ ، كذلك يدحض تصورات الفلاسفة الخاطئة ، وحدد ما الذى يمكن ان يُقبل وما الذى يجب أن يُرفض ، ورفض أساطير وقصص الشعراء الخرافية .

الجزء الثانى : (١١-١٥) وهو اكثر ايجابية ، يتناول عقيدة الفداء وصلب المسيح الذى هو الله وابن الله .

ثم يوضح (١٦-٢١) ان الأنبياء فى العهد القديم قد تنبأوا عن مجئ المسيح ، بل وحتى الأفكار الوثنية هى دليل على طبيعة المسيح الالهية .

الجزء الثالث : (٢٢-٢٥) ينسب فيه الامبراطور انتصاراته الى السيد المسيح ويصف النهاية المروعة التى نالها

ويقدم يوسابيوس وصفاً تفصيلياً [٥] لرؤية قسطنطين للصليب ، مؤكداً ان الامبراطور اكد له وأقسم بهذه الحقيقة ، وقد ضمّن يوسابيوس فى عمله هذا ستة عشر أمراً ورسالة امبراطورية تمثل ربع العمل كله وهى فى غاية الاهمية .

٢) الى جماعة القديسين *Ad Coetum Sanctorum*

يذكر يوسابيوس فى كتابه "حياة قسطنطين" [٦] ان الامبراطور كان يقضى وقته فى الكتابة والخطابة ، التى تعرض فيها لخطأ تعدد الالهة وأثبت ان المعتقدات الخرافية التى يؤمن بها الوثنيون هى خدع ، وأكد على سلطان الله وحده وعلى تدبير الخلاص وضرورته ، وعلى عقيدة الدينونة ، ويروى ابو التاريخ الكنسى ان الامبراطور كان يلقى خطبه باللغة اللاتينية ويقوم المترجمون بترجمتها فوراً الى اليونانية ، كما ذكر يوسابيوس انه سيقدم جزء من احدى احاديث قسطنطين وهو بعنوان "الى جماعة القديسين" موجه الى كنيسة الله . [٧]

والمخطوطات التى تحوى "حياة قسطنطين" تتضمن ملحق للكتاب الرابع وهو "كلمة الامبراطور قسطنطين التى وجهها الى

جماعة القديسين" وتسميها احدى المخطوطات بالكتاب الخامس من "حياة قسطنطين" وهى عبارة عن دفاع عن المسيحية :

المقدمة : (١-٢) تتضمن التحية وتشير الى يوم الألم الذى كان تمهيداً ليوم القيامة .

الجزء الأول : (٣-١٠) يتحدث عن الله الآب ، الخالق والرب الوحيد للكون ، ويفند أخطاء الوثنية ومفاهيمها الخاطئة وإيمانها الخرافى بالقدر والحظ ، كذلك يدحض تصورات الفلاسفة الخاطئة ، وحدد ما الذى يمكن ان يُقبل وما الذى يجب أن يُرفض ، ورفض أساطير وقصص الشعراء الخرافية .

الجزء الثانى : (١١-١٥) وهو اكثر ايجابية ، يتناول عقيدة الفداء وصلب المسيح الذى هو الله وابن الله .

ثم يوضح (١٦-٢١) ان الأنبياء فى العهد القديم قد تنبأوا عن مجئ المسيح ، بل وحتى الأفكار الوثنية هى دليل على طبيعة المسيح الالهية .

الجزء الثالث : (٢٢-٢٥) ينسب فيه الامبراطور انتصاراته الى السيد المسيح ويصف النهاية المروعة التى نالها

الحكام الذين اضطهدوا الكنيسة ، وفى الفصل الأخير يؤكد على ضرورة شكر المخلص الصالح على كل البركات التى منحها لامبراطوريته وله هو شخصياً .

٣) مديح قسطنطين *Laudes Constantini*

نجد فى مخطوطات "حياة قسطنطين" بعد "الرسالة الى جماعة القديسين" ، كتاب "مديح قسطنطين" ، وهو يتضمن عملين مختلفين :

١) الفصول من ١-١٠ :

تقدم كلمة المديح التى القاها يوسابيوس فى بلاط قسطنطين فى ٢٥ يوليو سنة ٣٣٥ ، فى الاحتفال بالعيد الثلاثين لتتويج قسطنطين امبراطوراً ، وفيها يؤكد اسقف قيصرية ان الامبراطور يختلف عن باقى البشر فى أنه «كامل فى الحكمة ، فى الصلاح ، فى العدل ، فى الشجاعة ، فى التقوى ، فى التكريس لله ، فالامبراطور هو وحده فيلسوف حقاً ، لانه يعرف نفسه ، ولأنه يعى تماماً ان هناك فيض من كل بركة قد سُكب عليه من مصدر خارج عنه تماماً ، من السماء نفسها » . [٨]

ويرى يوسابيوس ان الامبراطور هو ايقونة للقوة الحاكمة فى السماء [٩] ، لأنه بوعى منه نظم وشكل حكومته على مثال الاصل السمائى الالهى .

وفى باقى الكلمة يمدح يوسابيوس قسطنطين على اعماله وعلى البركات الناتجة عن الحرية التى اعطاها للكنيسة ، وفى الفصل الاخير يشير كرة اخرى الى خطبة قسطنطين :

«احاديث ومفاهيم ونصائح للحياة الفاضلة المقدسة تُعلن فى آذان كل الأمم ، الامبراطور نفسه يعلنها ، هى اعجوبة فعلاً ان هذا القوى ، يرفع صوته فى مسامع العالم كلهُ ، كمترجم لإرادة الحاكم الكلى القدرة (الله) ويدعو شعبه فى كل بلد الى معرفة الإله الحقيقى» . [١٠]

٢) الفصول من ١١-١٨ :

نجد فيها الرسالة التى قدمها يوسابيوس الى الامبراطور فى تكريس كنيسة القبر المقدس (٣٣٥م) ، ورغم انها بصفة عامة رسالة دفاعية ، الا ان هدفها الاول هو ان تبرر سبب تشييد البناء الرائع : «هذه الابنية العالية النبيلة ، انما هى اثار امبراطورية

على روح امبراطورية ، تلك التى شيدتها فى ذكرى قبر المخلص»

ويهدف يوسابيوس فى هذه الرسالة ان يوضح اهداف الامبراطور من الاهتمام بهذا العمل العظيم [١١] ، كما ويقدم سبباً اشمل ، اذ انه يرى فى كنيسة القبر المقدس رمزاً لإرسالية الله للإمبراطور ، ويقدم يوسابيوس الإيمان المسيحى للقارئ الوثنى ، وهذا التقديم ما هو الا ملخص للكتب الثلاثة الاولى من عمله "الثيوفانيا *Theophany*" .

✞ ✞ ✞



٣ - الاعمال الدفاعية

فى اعماله الدفاعية ، يلخص يوسابيوس كل الجهود الادبية التى قدمها سابقوه من اجل الدفاع عن الايمان المسيحى ، وهو يستعين بأفكار المدافعين اليونانيين بطريقة مدرسية ، فيثرى القارئ بالكثير من الحقائق والبراهين التى تدل على معرفة مذهلة بالأدب القديم وبالتاريخ ، ومع ذلك نجده يتبع منهجاً واضحاً ، فيسعى ليقدم نظرة تاريخية اشمل لكل الديانات المشهورة السابقة للمسيحية ، معتبراً اياها اعداداً للمسيحية ، وقد فُقدت بعض كتاباته الدفاعية .

١) مقدمة تمهيدية عامة *General Elementary Introduction*

يعد عمل يوسابيوس "مقدمة تمهيدية عامة" للإنجيل هو أقدم أعماله الدفاعية ، اذ كتبه قبل تجليسه اسقفاً لقيصرية ، ويتكون هذا العمل من عشرة كتب لم يصلنا منها الا الكتب ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، بجانب بعض الشذرات ، وهى تحوى مجموعة من النبوات المسيانية فى العهد القديم مع تفسير مختصر لها .

٢)الإعدادللإنجيل *Preparatio Evangelica*

تمثل المقدمة التمهيدية العامة دراسات اولية لعمل دفاعى اكبر يقع فى جزئين :

١) **الاعداد للإنجيل** *Preparation for the Gospel*

٢) **بـرهـان الانجيل** *Proof for the Gospel*

ويقع الاول فى ١٥ كتاباً موجودين كلهم فى اصلهم اليونانى وهدفه هو تفنيد ودحض تعددالألهة الذى يقول به الوثنيون ، وأن يُظهر تفوق الديانة اليهودية والتى كانت "اعداد للانجيل" ، واراد اسقف قيصرية ان يكون هذا العمل مدخل وتعليم اولى للمؤمنين الجدد من الوثنيين ، وفى بداية الكتاب الخامس عشر يقدم المؤلف ملخصاً للعمل كله .

الكتب ١-٣ :

تتناول اساطير الوثنيين الفاحشة الغريبة ، وتهاجم التفسير الرمزى الذى يقدمه الافلاطونيون المحدثون لهذه الاساطير والخرافات .

الكتابان ٤-٥ :

يتناولان المعتقدات الوثنية فى السحر والوحى .

الكتاب ٦ :

يجيب على هؤلاء الذين يؤمنون بالقدر .

الكتب ٧-١٣ :

يمثل مدخل الجزء الثانى الذى يتضمن الكتب السبعة التالية ، ويهدف الى ايضاح ان المسيحيين قد تبرروا بتركهم ديانة وفلسفة اليونانيين وبقبولهم لأسفار العبرانيين المقدسة ، ويشرح ان موسى وأنبياء العهد القديم عاشوا قبل اعظم فلاسفة اليونان بزمان طويل وان هؤلاء الفلاسفة وخاصة أفلاطون استعاروا الكثير من الانبياء .

الكتابان ١٤ ، ١٥ :

يكشفان متناقضات المفكرين اليونانيين وتعارضهم مع بعضهم البعض وكذلك الاخطاء الأساسية فى عقائدهم .

وفى بداية "الأعداد للانجيل" يؤكد يوسابيوس على اصالة

المنهج الذى سيتبعه :

«الهدف الذى وضعناه فى اذهاننا هو ان يتم العمل بطريقة ومنهج خاص بنا» . [١]

وفى تفنيده للوثنية ، يترك الوثنيين يتكلمون عن انفسهم ، فيقدم مقتطفات واستشهادات كثيرة وطويلة من كتاباتهم :

«لن اقدم كلماتى ، بل كلمات هؤلاء الاشخاص عينهم ، الذين كان لهم اعمق اهتمام بعبادة هؤلاء الذين يدعونهم آلهة» . [٢]

ونجد فقرات كثيرة [٣] فى هذا العمل تدل على ان ضغط الاضطهاد قد توقف وان السلام قد حل عندما كتب يوسابيوس "الاعداد للانجيل" ، وتلميحه [٤] الى عقاب الدجالين والعرافين الانطاكيين [٥] بيد ليسينيوس *Licinius* **يعرف منه ان تاريخ كتابة العمل كان بعد سنة ٣١٤ ميلادية .**

٣)برهان الانجيل *Demostratio Evangelica*

بينما يدافع "الاعداد للانجيل" عن المسيحية ضد الوثنية ، يجيب "برهان الانجيل" ـ كتكملة للاعداد ـ على اتهامات اليهود

القائلة ان المسيحيين قبلوا اليهود كى يدعوا لأنفسهم البركات الموعودة للشعب المختار بدون ان يقبلوا قوانين الشريعة وإلزاماتها .

ويجيب يوسابيوس على هذا الاتهام فى ٢٠ كتاباً لم يصلنا منها الا العشرة الأوائل ، وقدر معقول من المقتطفات من الكتاب الخامس عشر ، وهى تكفى لتوضح ان الكاتب فى "برهان الانجيل" ينتزع العهد القديم من اليهود ويثبت معناه المسكونى وأن الديانة المسيحية هى كمال تحقيقه .

الكتابان ١ ، ٢ :

يمثلان المقدمة ، ويشرح فيهما يوسابيوس لماذا يقبل المسيحيون اسفار العهد القديم ويرفضون شريعة موسى ، ويقول ان الشريعة الموسوية كانت مجرد تدبير يخدم كمرحلة انتقالية بين الآباء بطاركة العهد القديم وبين مجئ السيد له المجد .

وفى الكتاب الثانى ، يقدم المؤلف من الانبياء دليلاً كافياً قوياً على ان سقوط الامة اليهودية ومجئ المسيا ودعوة الأمم قد سبقت النبوات واعلنت عنها سلفاً .

الكتب ٣ - ١٠ :

تقدم دليلاً نبوياً على ناسوت المسيح (كتاب ٣) وعلى لاهوته (ك ٤) وعلى تجسد المخلص وحياته على الارض (ك ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ويتحدث الكتاب العاشر عن آلامه وموته .

الكتب ١١ - ٢٠ :

وهى الكتب المفقودة ، تتحدث فى الغالب عن القيامة والصعود والعنصرة وتأسيس الكنيسة ، والأجزاء التى وصلتنا من الكتاب الخامس عشر تتناول الممالك الاربعة المذكورة فى سفر دانيال .

ورغم ان "الاعداد للانجيل" و "برهان الانجيل" موجهان ضد الوثنيين واليهود ، الا ان هدفهما الفعلى هو الرد على كتاب الفيلسوف بورفيرى *Porphyry* "ضد المسيحيين" ، ويشير اليه يوسابيوس مراراً وتكراراً وفى نفس الوقت يأخذ من هذا الكتاب كلمات الإتهامات الموجهة ضد المسيحية [٦] ، وهذا المنهج فى الرد يذكرنا بعمل اوريجانوس "ضد كلسوس *Contra Celsum*" ولكن يوسابيوس لا يناقش اتهامات بورفيرى نقطة نقطة كما

فعل اوريجانوس السكندرى مع كلسوس ، بل يتبع منهجاً مختلفاً فلا يسمح لخصمه ان يجعله يحيد عن ترتيبه المنهجى المنظم للشروحات الكتابية ليدخل فى محاورات عقيمة قليلة الاهمية ، وقد اثبتت هذه الطريقة نجاحها وتأثيرها مما جعل هذا العمل ليس فقط تجميع وتنسيق للنتائج التى حققها سابقوه ، بل غالباً اهم عمل دفاعى فى الكنيسة الاولى .

٤) الثيوفانيا *Theophania*

"الثيوفانيا" او "الاستعلان الالهى" هو آخر اعمال يوسابيوس الدفاعية من حيث الترتيب الزمنى ، وموضوعه هو استعلان الله فى تجسد الكلمة اللوغوس ، ويشرح المؤلف هذه العقيدة ويدافع عنها ضد الاعتراضات الموجهة اليها فى خمسة كتب مكتوبة ببلاغة عظيمة .

الكتب ١ - ٣ :

تتحدث عن استعلان اللوغوس فى خلق الكون وفى حفظه ، وتشرح الحاجة للفداء وتحقيق المسيح له .

الكتاب ٤ :

يشرح تحقيق نبوات العهد القديم .

الكتاب ٥ :

يشرح حماقة الظن ان المسيح كان ساحراً وأن تلاميذه كانوا مخادعين .

والكتب الثلاثة الاولى تعتمد كثيراً على "الاعداد" وعلى "البرهان" ويبدو ان الكتاب الرابع هو اصدار جديد من دراسته عن النبوات التى تحققت فى السيد المسيح والتى ذكرها يوسابيوس فى كتابه "الإعداد" [٧] والكتاب الخامس هو الكتاب الثالث من "برهان الانجيل" كما اعلن المؤلف نفسه . [٨]

والمفهوم السائد فى العمل كله عن الكنيسة المنتصرة المزدهرة يثبت انه كتب بعد سنة ٣٢٣م وبعد انفراد قسطنطين بالحكم .

وفيما عدا بضعة أجزاء ، لم يتبق شيء من الاصل اليونانى ، لكن العمل كله حُفظ فى ترجمة سريانية ، ولابد أن هذه الترجمة تمت فى تاريخ مبكر اذ أن المتحف البريطانى فى لندن لديه

مخطوطة لها بتاريخ فبراير سنة ٤١١م .

٥) ضد بورفيرى *Against Porphyry*

هاجم بورفيرى الفيلسوف الافلاطونى المحدث الشهير المسيحية هجوماً شرساً فى خمسة عشر كتاباً بعنوان "ضد المسيحيين" فكتب ابو التاريخ الكنسى تفنيداً لهذا العمل فى ٢٥ كتاباً فقُدت جميعها ، وقد ذكر چيروم [٩] وسقراط [١٠] وفيلوستورجيوس [١١] *Philostorgius* المؤرخون هذا العمل ، وقدم چيروم [١٢] بعض تلميحات عن مضمونه ، ويبدو أن الرد كان يدور اساساً حول التفسير الصحيح لبعض اصحاحات الانجيل ، اذ ان بورفيرى ظن ان هناك اخطاء وتناقضات فى الانجيل فى نسب المسيح وفى احداث القيامة .

٦) ضد هيروكلس *Against Hierocles*

قبل كتابه "ضد بورفيرى" ، كتب يوسابيوس رداً على هيروكلس حاكم بثينية *Bithynia* الذى ألف عملاً يقول فيه ان ابولونيوس *Apollonius of Tyana* اعظم من السيد المسيح ، ونص هذا الكتاب الصغير محفوظ فى احدى المخطوطات فى

باريس [١٣] وهو احد اعمال يوسابيوس الاولى ، وكُتب فى الغالب بين اعوام سنة ٣١١ و سنة ٣١٣ .

٧) التفنيد والدفاع *Refutation & Defence*

يذكر فوتيوس[١٤] انه قرأ هذا العمل الذى يتكون من كتابين ، وانه كان موجوداً فى ايامه فى طبعتين ، ولكن كلاهما قد فُقد ، ومن ملاحظات فوتيوس يتضح لنا انه دفاع يرد على الاعتراضات الوثنية على الايمان المسيحى ، وهو يرى ان يوسابيوس اجاب على بعض الاسئلة والاتهامات «بطريقة كافية مقنعة وان لم تكن بطريقة كلية» .



٤ - الاعمال الكتابية والتفسيرية

يستحق يوسابيس مديح خاص على جهوده التى بذلها من أجل تقديم نسخة معتمدة من الكتاب المقدس ، فبمساعدة استاذه وصديقه بامفيليوس ، اعاد نشر طبعة اوريجانوس السبعينية (العمود الخامس من الهكسابلا أى السداسيات وهى عبارة عن انجيل من ٦ مخطوطات جمعهم اوريجانوس معاً) كعمل مستقل مع وضع قراءات بديلة مرادفة من نسخ اخرى فى الهوامش ، وتاريخ نص العهد القديم والجديد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإسم يوسابيوس وصديقه بامفيليوس ، وهناك عدد غير قليل من مخطوطات الكتاب المقدس الموجودة للآن منسوخة من المخطوطات التى صنعاها ، وقد استجاب الامبراطور ليوسابيوس عندما احتاج خمسين نسخة من الكتاب المقدس لكنائس القسطنطينية ، فقد كتب يوسابيوس الى الامبراطور يطلب منه اعداد هذه النسخ ويشرح فيها انه طالما ان القسطنطينية المدينة العظيمة تزدهر وتنمو فى كل شىء لذا يجب ان تزدهر فيها

الكنائس ايضاً وتزداد ، لذا سيحتاج الى خمسين نسخة من الكتاب المقدس ويرجو من الامبراطور ان يجعل نساخ محترفين متمرسين يقومون بهذا العمل .[١]

ويعتبر يوسابيوس ان الكتاب المقدس شاهد أولى دقيق وأمين لإستعلان الله فى التاريخ ولسر تدبير تجسد اللوغوس .

١) **القوانين الانجيلية** *The Evangelical Canons*

يقدم يوسابيوس ابتكاراً جديداً هاماً فى مخطوطات الانجيل ، وهو وسيلة لإيضاح التوافق بين الاناجيل ، وذلك بأن يوضح امام كل اصحاح الاصحاحات المرادفة له فى الاناجيل الاخرى ، وفى رسالته الى كاربيانوس *Carpianus* يشرح هذا المنهج كله ، ويخبره ان فكرة هذا العمل جاءته من عمل امونيوس السكندرى "توافق الانجيل" او "الاجزاء *Sections*"[٢] ، والذى يرتب فيه امونيوس الاناجيل فى اربعة اعمدة متوازية ، وقد طور يوسابيوس نظام امونيوس وعالج قصوره ، اذ لم يكن هذا النظام يسمح بقراءة أى إنجيل بترتيبه الاصلى عدا انجيل متى .

وبدأ يوسابيوس بتقسيم الأناجيل الى أقسام صغيرة رقمها بالترتيب ، ثم أعد قائمة تحوى عشرة قوانين ، ويتضمن كل قانون قائمة بمجموعة من الاصحاحات بالترتيب التالى :

قانون ١ : الاصحاحات المشتركة فى الاناجيل الاربعة .

قانون ٢ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ومرقس ولوقا.

قانون ٣ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ولوقا ويوحنا.

قانون ٤ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ومرقس ويوحنا .

قانون ٥ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ولوقا .

قانون ٦ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ومرقس .

قانون ٧ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ويوحنا .

قانون ٨ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل لوقا ومرقس .

قانون ٩ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل لوقا ويوحنا .

قانون ١٠ : الاصحاحات التى ينفرد بها كل انجيل : اولاً متى ثانياً مرقس ، ثالثاً لوقاً ، رابعاً يوحنا .

وهذه القوانين تمكن القارئ من اكتشاف الاصحاحات المتشابهة بسهولة شديدة ، وقد تُرجم هذا العمل الى السريانية واللاتينية ،

وصار يُعرف بإسم :

القوانين اليوسابية *Eusebian Canons*

او الاقسام اليوسابية *Eusebian Sections*

وقد إقتبسه چيروم فى ترجمته اللاتينية للكتاب المقدس (الڤولجاتا) وشرحه فى رسالة ارسلها للبابا داماسوس *Damasus*

٢) **المعجم الجغرافى** *Onomasticon*

وهذا العمل هو عبارة عن معجم جغرافى كتابى يقدم قائمة مرتبة ابجدياً بأسماء الاماكن الواردة فى الكتاب المقدس مع وصف جغرافى وتاريخى لكل مكان ووصف لحالته ايام يوسابيوس ، وقد نال هذا العمل احتراماً عظيماً من دارسى الكتاب المقدس فى الشرق ، وكذلك نال شهرة كبيرة فى الغرب الذى عرفه من خلال ترجمة لاتينية قام بها القديس چيروم الذى اضاف بعض التصحيحات والاضافات .

والاصل اليونانى والترجمة اللاتينية موجودان كليهما ويمثلان حتى اليوم اهم مصدر لدراسة جغرافية الأرض المقدسة .

وهذا المعجم الجغرافى الذى وصلنا هو فقط الجزء الرابع من عمل اكبر عن الجغرافيا الكتابية وضعه يوسابيوس استجابة لاقتراح بولينوس *Paulinus* اسقف صور ، ولما كان الأخير قد تنيح عام ٣٣١م اذاً لابد ان هذا العمل قد كُتب قبل ذلك التاريخ .

والأجزاء الثلاثة التى فُقدت تقدم :

١) تفسير لأسماء الاسفار العبرية باليونانية .

٢) دراسة جغرافية لليهودية القديمة مع ميراث كل سبط .

٣) خريطة لليهودية والهيكل .

ويشير يوسابيوس الى هذه الاجزاء الثلاثة فى مقدمة المعجم الجغرافى ، وكذلك يشير اليها چيروم فى مقدمة ترجمته اللاتينية .

٣) **اسئلة ودراسات انجيلية** *Gospel Questions and Studies*

يتكون هذا العمل من جزئين :

الأول : بعنوان "اسئلة عن الانجيل واجاباتها مرسلة الى اسطفانوس" وهو يقع فى كتابين .

الثانى : بعنوان "اسئلة عن الانجيل واجاباتها مرسلة الى مارينوس *Marinus*" ويقع فى كتاب واحد .

ويناقش الكاتب فى الجزء الاول التساؤلات الخاصة بميلاد وطفولة السيد المسيح له المجد ، بينما يناقش فى الثانى التساؤلات الخاصة بقيامته المجيدة .

وقد فُقد الجزءان عدا بعض الشذرات اليونانية والسريانية ، وقد اكتشف ماى *Mai* [٣] ملخصاً لهذا العمل يقدم معلومات قيمة عن الاصل وعن محتوياته ، وهذا الغمل بجملته يمثل مساهمة هامة فى تطور علم النقد الكتابى .

٤) تفسير المزامير

يبدو ان اهم اعمال يوسابيوس التفسيرية كان "تفسير المزامير" والذى نال شهرة كبيرة بين دارسى الآباء بسبب معرفة يوسابيوس ودرايته الواسعة بالأبعاد النقدية فى تفسيره .

وقد تُرجم هذا العمل مرتين الى اللاتينية :

الأولى : قام بها هيلارى اسقف بواتييه .

الثانية : قام بها يوسابيوس اسقف ڤرساى *Vercelli* .

لكن الاخير حذف الصفحات التى تتضمن أفكاراً هرطوقية [٤] ومع انه لم يصلنا شيء من الترجمتين ، الا أن مقتطفات كثيرة من هذا العمل قد حُفظت ، لذا من الممكن أن تُجمع ويتكون منها النص كله من جديد .

ويبدو ان هذا العمل كان اخر أعمال يوسابيوس رغم اننا لا نستطيع تحديد تاريخ معين له ، والمقتطفات التى وصلتنا تدل على ان العمل الكامل كان عملاً ضخماً .

٥) تفسير أشعياء

يذكر القديس چيروم [٥] ان يوسابيوس كتب تفسيراً لسفر اشعياء فى عشرة كتب ، بينما فى مقدمة تفسيره هو (أى چيروم) لسفر اشعياء يذكر ان عمل يوسابيوس هذا يتكون من خمسة عشر كتاباً ، وعندما يشير اليه مرة اخرى [٦] ، يذكر ان

العنوان الذى وضعه يوسابيوس للعمل يعد بتفسير تاريخى لكن يوسابيوس فى الغالب نسى ذلك وانتهى الى رمزية اوريجين ، ولم يصلنا الا مقتطفات من هذا العمل تثبت ان يوسابيوس :

١) اعتمد على اوريجانوس وقد ذكر تفسيره لأشعياء سبع مرات .

٢) اعتمد فى تفسيره على النسخة السبعينية الموجودة فى الهكسابلا (النسخة السداسية) التى اعدها اوريجانوس .

٦) تعدد الزوجات وأسر البطاركة الكبيرة

فى كتابه "برهان الانجيل" [٧] يقول يوسابيوس :

«اذا كان هناك اى سؤال عن عائلات ابراهيم ويعقوب ، فستجد مناقشة اطول فى الكتاب الأول الذى كتبته عن تعدد الزوجات والاسر الكبيرة لرجال الله القدماء» .

ويشير ايضاً الى هذا العمل فى كتابه "الاعداد للانجيل" ، والقديس باسيليوس الكبير فى كتابه عن الروح القدس يستشهد بفقرة من عمل يوسابيوس هذا ويسميه "تساؤلات بخصوص تعدد زوجات القدماء" ، ويقدم هذا العمل مقارنة بين المفهوم

المسيحى للزواج وبين حياة البطاركة الأوائل .. وقد فُقد هذا العمل .

٧) عن الفصح Περὶ Τῆσ Τοῦ Πάσχα῾Εορτῆσ

يخبرنا يوسابيوس فى كتابه "حياة قسطنطين" [٨] ان الامبراطور كتب اليه شخصياً رسالة "عن موضوع الفصح اقدس الاعياد" وان مناسبة ذلك كانت كتاب يوسابيوس "عن الفصح" والذى اهداه لقسطنطين :

«لأنى انا نفسى اهديت له شرحاً للاهمية السرية لهذا العيد» . [٩]

ومن هذه الكلمات يتضح لنا ان يوسابيوس قدم شرحاً للمعنى الرمزى للفصح اليهودى وتحقيقه فى عيد الفصح المسيحى ، ورسالة الشكر التى ارسلها الامبراطور ليوسابيوس تدل على ان الجدال بخصوص الفصح قد نُوقش ايضاً فى عمل يوسابيوس .

وقد فُقد هذا العمل كله ، ولم يصلنا منه الا جزء موجود فى مجموعة مينى *Migne* ـ الآباء اليونانيون ، وهو يتضمن ١٢

فصلاً مخصصين لمناقشة طبيعة العيد فى العهد القديم وطبيعته ومفهومه فى العهد الجديد ، وكذا مناقشة القرار الذى اتخذه مجمع نيقية المسكونى بخصوص الجدال حول الفصح والاسباب التى تجعلنا لا نحتفل بالقيامة فى تاريخ الفصح اليهودى ، وفى الفصل الرابع يقدم يوسابيوس شهادة رائعة لذبيحة موسى المقدسة كفصح التدبير الجديد .. وتاريخ كتابة هذا العمل هو بالتأكيد بعد انعقاد مجمع نيقية وفى الغالب قبل عام ٣٣٥ م .

✞ ✞ ✞



٥ - الاعمال العقيدية

من اعمال يوسابيوس ذات الصبغة العقيدية كتابه "الدفاع عن اوريجانوس" الذى اكمله يوسابيوس بعد استشهاد بامفيليوس ويخبرنا فوتيوس [١] ان هذا الدفاع يتكون من «ستة كتب ، خمسة منها كتبها بامفيليوس عندما كان فى السجن ومعه يوسابيوس ، والسادس كتبه يوسابيوس بعد ان انتقل الشهيد ـ الذى قُتل بالسيف ـ الى الله الذى اشتاقت اليه نفسه» .

وهكذا كُتبت الكتب الخمسة الاولى بمساعدة يوسابيوس فى عام ٣٠٨ - ٣٠٩ ، وقد فُقدت هذه الكتب عدا اولها الذى حفظه لنا روفينوس فى ترجمة لاتينية قام بها ، ولم يصلنا اى شىء من الكتاب السادس الذى هو عمل يوسابيوس .

١) ضد مارسيللوس *Contra Marcellum*

فى العام الاخير من حياته ، كتب ابو التاريخ الكنسى دفاعاً عن الموقف الاريوسى فى كتابين ضد مارسيللوس اسقف انقرة

يوسابيوس هو الذى القى كلمة الترحيب لان موقفه كان موضع شك ، ومن الصعب التصديق ان اباء نيقية اختاروه لهذا العمل الكريم ، وقد تباينت آراء العلماء والمؤرخين فى هذا الصدد . [٤]

ليس هناك الا معلومات قليلة جداً عن اى عظات اخرى القاها يوسابيوس ، وفى تاريخه الكنسى [٥] ، يقدم النص الكامل للكلمة التى القاها فى تدشين بازيليكا صور نحو سنة ٣١٦م ، وكان موضوعها الاساسى هو القيامة ، فإنتصار المسيحية الحديث وإعادة بناء الكاتدرائية وتشييد المعمودية هى كلها ـ فى رأى يوسابيوس ـ رموز للقيامة والمجد العتيد فى سماء عروس المسيح الكنيسة .

وفى مخطوطة لندن المؤرخة بتاريخ فبراير سنة ٤١١ [٦] ، والتى تحوى النسخة السريانية لـ "الثيوفانيا" ، والطبعة الثانية لكتابه "شهداء فلسطين" ، نجد بعد ذلك مديح لشهداء انطاكية ، وهو فى الغالب عظة القاها يوسابيوس فى عيد الابطال المكابيين لانها تتضمن مديح للأم وأولادها السبعة الذين عُذبوا حتى الموت والمُفترض انهم دُفنوا فى انطاكية .

٧ - الرسائل

لابد ان عدد الرسائل التى خطها اسقف قيصرية كان كبيراً ، بسبب دوره الكبير فى الجدالات الدائرة فى ايامه ، ومع ذلك فُقدت تقريباً كل رسائله .

ولم يصلنا من رسائله الا ثلاثة كاملة :

رسالة الاهداء الى فلاكسيلوس *Flaccillus* فى بداية كتابه "اللاهوت الكنسى" .

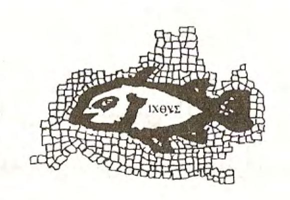
رسالة الى كاربيانوس *Carpianus* وهى نوع من المقدمة لعمله "القوانين الانجيلية" .

رسالة الى شعب ابارشيته ـ قيصرية ـ عن نتائج مجمع نيقية .

وقد الحق القديس اثناسيوس الرسولى رسالة يوسابيوس الثالثة هذه فى دفاعه عن قانون الايمان النيقاوى والذى كتبه نحو عام ٣٥٠م ، ولابد ان المؤرخين : سقراط [١] وثيودورت [٢]

وجلاسيوس [٣] قد نسخوها من اثناسيوس ... وفيها يبلغ يوسابيوس شعب كنيسته بما حدث فى المجمع ويحاول ان يبرر سلوكه وتصرفه وخاصة قبوله لصيغة "هوموا وسيوس *Homoousios*" (مساوى فى الجوهر) لئلا يأخذوا انطباعاً خاطئاً من الاشاعات والاقاويل ، ثم يقدم ورقة طويلة يقول انه قرأها فى احدى جلسات المجمع فى حضرة الامبراطور ، ثم يختتم رسالته بقوله انه ، اخيراً وبعد فحص دقيق ، وقّع على كلمات القانون الجديد ... اما عن رسائل يوسابيوس الاخرى فلم يصلنا منها الا شذرات .

✞ ✞ ✞



الكتـــــاب : العلامة يوسابيوس القيصرى .
ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .
النـــاشـــر : كنيسة مارمرقس والبابا بطرس ـ الاسكندرية .
جمع تصويرى : كويـن سنـتر ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية .
الـطـبـعـة : الاولى ـ ١٩٩٢ .
المطـبـعـة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .
رقم الايداع : ٩٢/٤٦٢٦م .
I.S.B.N. 977 - 00 - 3411 - 8 .

الفهرس